

مفاهيم القرآن

(194) ومقتضاه. وبهذا تتميز سيادة الجماعة البشرية حسب منطلقها القرآني^١ والإسلامي^٢ عن الأنظمة الديمقراطية الغربية. فإن الجماعة البشرية - حسب هذه الأنظمة - هي بنفسها صاحبة السيادة، لا أنزلها تنوب عن الله في ممارستها للسيادة، ويترتب على ذلك أنزلها ليست مسؤولة^٣ بين يدي أحد، وغير ملزمة بمقياس موضوعي^٤ في الحكم، بل يكفي أن يتفقد الشعب على أمر ليصبح قانوناً يؤخذ به حتى إذا كان ذلك الأمر مخالفاً لكرامته، أو مخالفاً لمصلحة جزء من الجماعة. وهذا بخلاف حكم الجماعة باعتبار الاستخلاف، فإنزلها حكم مسؤول، والجماعة بمقتضاه ملزمة بتطبيق الحق^٥ والعدل، ورفض الظلم، ومقاومة الطغيان وتكون مسؤولة أمام الله فيما تفعل، وعلى ذلك فالحكومة الإسلامية هو "حكومة الأمة على الأمة خلافة^٦ عن الله" بمعنى: إجراء سننه وقوانينه ومراعاة ضوابطه وحدوده، في الحكم والحاكمية^٧ (1). * * * 2- استخلاف داود يستبطن حاكميته والذي يدل^٨ على أن الحكم والحاكمية من آثار الاستخلاف الإلهي للإنسان: أن الله سبحانه لمّا جعل داود خليفته في الأرض، رتب على هذا الاستخلاف أمره بأن يحكم ويقود الناس بالعدل والحق^٩ فقال: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) (ص: 26). ومن المعلوم أن (الخليفة) هنا وهناك في قصة آدم - عليه السلام - واحدة معنى ومراداً، غير أنزلها هناك ذات معنى أعم^{١٠}، وهنا ذات معنى أخص^{١١}. وقد نقل شيخ الطائفة (الطوسي) رحمه الله في تفسير التبيان عن ابن مسعود أنزلها

الشهيد السيد محمد باقر الصدر.